الدبلوماسية الثقافية : مفهومها وتطبيقاتها

أ.د نوار محمد ربيع الخيري
الجامعة المستنصرية – كلية العلوم السياسية
221976nr@gmail.com

الملخص :

تعد الدبلوماسية واجهة التعامل الخارجي للدولة ، وتعد الثقافة واجهة الحضارة والعلم للدولة ، ونظراً لأهمية الثقافة في حياة الدول وعلاقاتها الخارجية وإمكانية تأثيرها في إظهار صورة الدولة الثقافية والحضارية والعلمية ، تم توظيفها في خدمة علاقات الدولة ، فكانت الدبلوماسية الثقافية التي تعبر عن تبادل الأفكار والثقافات والآراء بين الدول من خلال المؤسسات الثقافية والعلمية والتعليمية التي تسهم في التأثير في الدول والشعوب الأخرى من أجل إظهار قوة الدولة ودورها السياسي من أجل تحقيق أهدافها ومصالحها الوطنية . وقد أثبتت الدبلوماسية الثقافية انها الوسيلة الأكثر سلاسة ومرونة كقوة ناعمة في التعامل بين الشعوب والدول في القدرة على الوصول إلى الأهداف المتوخاة منها والتأثير في الطرف الآخر ، بل وتحقيق أهداف سياستها الخارجية وتعزيز علاقاتها الدولية ، ويتضح حضور ودور الدبلوماسية الثقافية العراقية في التعريف وفي نشر الثقافة والحضارة والقيم من خلال المشاركات العربية والدولية في الأنشطة الثقافية والعلمية في العراق أو في الدول الأخرى ، فكانت إحدى الوسائل المهمة والمؤثرة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية العراقية وإظهار وإثبات مكانة العراق وتعزيز علاقاته العربية والدولية .

لم تقتصر الدبلوماسية الثقافية في الدول الكبرى والمتقدمة على جانب إظهار ونشر الثقافة والتبادل العلمي والثقافي لتلك الدول ، بل أفصحت عن السعي لتحقيق أهدافاً سياسية احتوائية ترمي من خلالها إلى نقل وتعميم نماذجها الثقافية والعلمية عن طريق البرامج والتطبيقات كقوة ناعمة إلى المجتمعات والشعوب الأخرى للتأثير بها والتغلغل فيها والسعي إلى الهيمنة عليها عن طريق الدبلوماسية الثقافية ومن ثم تحقيق أهداف سياستها الخارجية بطريقة دبلوماسية .

الكلمات المفتاحية :الدبلوماسية الثقافية ، البرامج والمؤسسات الثقافية والعلمية ، التبادل الثقافي ، أهداف السياسة الخارجية .

Cultural Diplomacy :Its Concept and Applications

Prof. Dr. Nawar Muhammad Rabee Al-Khayri
Al-Mustansiriya University - College of Political Sciences
221976nr@gmail.com

Abstract:

Diplomacy is the interface of the state's external dealings, and culture is the interface of the state's civilization, and science. Given the importance of culture in the lives of states and their foreign relations and the possibility of its influence in showing the state's cultural, civilizational, and scientific image, it was employed in the service of the state's relations. Cultural diplomacy expressed the exchange of ideas, cultures, and opinions between countries through cultural, scientific and educational institutions that contribute to influencing other countries and peoples in order to demonstrate the state's power and political role in order to achieve its national goals and interests.

Cultural diplomacy has proven to be the smoothest and most flexible means of soft power in dealing between peoples and countries in the ability to reach the goals desired and influence the other party, and even achieve the goals of its foreign policy and strengthen its international relations. The presence and role of Iraqi cultural diplomacy in defining and spreading culture, civilization and values becomes clear in defining and spreading culture, civilization and values. through Arab and International participation in cultural and scientific activities in Iraq or in other countries, it was one of the important and influential means of achieving the goals of Iraqi foreign policy, demonstrating and proving Iraq's status, and strengthening its Arab and International Relations.

Cultural diplomacy in major and developed countries was not limited to displaying and disseminating culture and scientific and cultural exchange in those countries, rather it expressed the pursuit of inclusive political goals through which it aimed to transfer and disseminate their cultural and scientific models through programs and applications as soft power to other societies and peoples to influence and penetrate them , and seeking to dominate it through cultural diplomacy and then achieve its foreign policy goals in a diplomatic manner.

Key words: Cultural diplomacy, cultural and scientific programs and institutions, cultural exchange, foreign policy goals.

المقدمة :

تعد الدبلوماسية واجهة التعامل الخارجي للدولة ، وتعد الثقافة واجهة التمدن والحضارة والعلم للدولة ، ونظراً لأهمية الثقافة في حياة الدول وعلاقاتها الخارجية وإمكانية تأثيرها في إظهار صورة الدولة الثقافية والحضارية والعلمية ، فقد تم توظيفها في خدمة علاقات الدولة ، فكانت الدبلوماسية الثقافية التي تعبر عن تبادل الأفكار والثقافات والآراء بين الدول من خلال المؤسسات الثقافية والعلمية والتعليمية التي تسهم

في التأثير في الدول والشعوب الأخرى من أجل إظهار قوة الدولة ودورها السياسي من أجل تحقيق أهدافها ومصالحها الوطنية .

أهمية البحث :

تظهر أهمية البحث في الدبلوماسية الثقافية في معرفة ماهيتها وما تشتمل عليه من حيث المفهوم والأدوات والأهداف ، وكيف تعمل كل هذه الجزئيات في التأثير في قوة الدولة من خلال سياستها وعلاقاتها مع الدول الأخرى ، وإظهار ترتيب مكانتها في النظام السياسي الدولي .

إشكالية البحث :

تتركز إشكالية البحث في الدبلوماسية الثقافية في كيفية إظهار الجوانب الثقافية في سياسة الدولة وإثبات وجودها وقوتها في إطار سياستها الخارجية ، ومن أجل حل هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤل الآتي : كيف توظف الدولة الدبلوماسية الثقافية وتستفيد منها في الدبلوماسية الرسمية في إطار سياستها الخارجية لتحقيق أهدافها والوصول إلى مصالحها وإثبات قوتها ومكانتها الدولية ؟.

مناهج البحث :

لغرض الإحاطة العلمية بموضوع الدبلوماسية الثقافية بكل جزئياته تم اعتماد المنهج الوصفي، كواصف للظاهرة وشارحاً لماهيتها ، والمنهج التحليلي محللاً ومفسراً لموضوع الدبلوماسية الثقافية وتطبيقاتها .

فرضية البحث :

يفترض البحث ان الدولة تعمل على توظيف الدبلوماسية الثقافية كواحدة من أنواع وتفرعات الدبلوماسية ، والتغلغل من خلال الوسائل والآليات الثقافية إلى الشعوب والمجتمعات والنخب في الدول الأخرى لتحقيق أهدافها وفي مختلف المجالات ، وإثبات ونشر وتعميم قيمها الثقافية –كأنموذج– على الصعيد العالمي .

أولاً : تعريف الدبلوماسية الثقافية :

الدبلوماسية هي الوسيلة أو الآلية التي من خلالها تسعى الدولة إلى تحقيق أهداف سياستها الخارجية وتنظم علاقاتها الدولية بالاتجاه الذي يحقق مصالحها الوطنية . وتتوزع الدبلوماسية بين أنواع وتصنيفات عدة ، وواحدة من هذه الأنواع هي الدبلوماسية الثقافية ، فما المقصود في الدبلوماسية الثقافية؟

تعرف الدبلوماسية الثقافية على انها تبادل الرؤى والفنون واللغات وغيرها من جوانب الثقافة بين الشعوب من أجل تعزيز التفاهم المتبادل .(الحويل ٢٠٢٠) . فهي تعمل على دعم الحوار والتعليم والتبادل الثقافي لتطوير التعاون الدولي والازدهار العالمي من خلال الأفكار المتبادلة في المجالات الفنية واللغوية لغرض إيجاد التواصل والتفاهم بين الأمم ، (الدبلوماسية الثقافية ٢٠٢٣) ، والدبلوماسية الثقافية هي جزء لا يتجزأ من الأنشطة الدبلوماسية التي يراد من خلالها تعزيز التفاهم المتبادل بين الدول ،

وتعرف كذلك بأنها (تبادل الأفكار المعلومات والفن وغيرها من جوانب الثقافة بين الأمم والشعوب من أجل تعزيز التعاون والتبادل الثقافي والمعلوماتي بهدف توطيد العلاقات البينية وتعزيزها بين الدول والشعوب) ، وفي تعريف آخر للدبلوماسية الثقافية هي (عملية يتم من خلالها تبادل التقاليد والقيم والأهداف والافكار بهدف تعزيز سبل التفاهم والتعاون والتقارب) ، وتزداد حاجة الدول لها عندما تزداد الحملات العدائية ضدها وتنتشر المغالطات والصور المشوهة ، فتحتاج إلى وسيلة أو اسلوب حوار ثقافي لنشر حقيقتها عند الشعوب الأخرى ، وتعرف أيضاً بأنها (الجهود الدبلوماسية التي تسعى إلى إحداث تغيير في التطورات التي تحتفظ بها الدول عن غيرها وما يرتبط بذلك من تغير في أنماط سلوكها اتجاه الدول الأخرى وإيجاد تأييد شعبي لثقافة معينة يساعد على إيجاد إستجابات لسياسة الدولة خارج حدودها بما يسمح في بناء علاقات مستقرة و روابط ودية بين الشعوب) . (رضا ٢٠٢١ ، ٢٩- ٣٠) .

وتعني الدبلوماسية الثقافية أيضاً توظيف عناصر عدة من الثقافة للتأثير في الجماهير أو الشعوب الأخرى وصناع الرأي والقادة والنخب المؤثرة وتستلزم استثمار الفرص التي توفرها القطاعات المختلفة من تعليم وأفكار وتاريخ وعلوم ودين وغيرها من أجل صياغة انطباعات وأفكار تعكس هذه الدولة أو تلك . (محمود ٢٠١٧) ، ويعرف (ميلتون سي كامينغز) الدبلوماسية الثقافية بأنها تبادل المعلومات والأفكار والقيم والنظم والتقاليد والمعتقدات وغيرها من جوانب الثقافة بقصد تعزيز التفاهم المتبادل) . وتتصف الدبلوماسية الثقافية بالأخلاقية التي تمنح قيمة معنوية وهي نشترط مبدأ التفاهم وتستند الى أسس سياسية اخلاقية معنوية وتعزيز بشكل مشروع . (محمود ٢٠١٧) .

وفي معنى آخر تشير الدبلوماسية الثقافية إلى عملية اتصال ثنائية الاتجاه تنضمن عملية إظهار صورة الأمة وقيمتها على الدول والشعوب الأخرى ، ومن الاتجاه الآخر تلقي المعلومات وفهم ثقافة وقيم وصور الدول والمجتمعات ، فهي إذن تعزز القدرة على التأثير في الرأي العام العالمي وآيديولوجية الأفراد والمجتمعات أو الثقافات أو الأمم التي أن تحقق الاستقرار والسلام في العالم ، فنتج عن التفاعل بين الشعوب وتبادل الأفكار واللغة والدين والهياكل المجتمعية تفعيل وتحسين العلاقات بين المجموعات المتباينة وبشكل مستمر ، أي عدم الاقتصار على العلاقات بين حكومات الدول. (الحجلي ٢٠٢١).

ينظر إلى الدبلوماسية الثقافية على أنها دبلوماسية القرن الحادي والعشرين و وزارة خارجية الشعوب ، وذلك لما تقوم عليه من مقومات وأدوات عديدة قريبة من الشعوب أكثر من الدبلوماسية التقليدية الرسمية. (الحويل ٢٠٢٠).

فالدبلوماسية الثقافية هي وسيلة من وسائل تعزيز التعاون الدولي والتبادل الثقافي بين مختلف الدول ، ولكل دولة ثقافة معينة تتميز بها عن غيرها ، وعلى كل دولة الإطلاع على الثقافات واستثمارها لتحقيق التقارب في وجهات النظر حول المصالح المشتركة بين الدول التي تربطها منها روابط ومصالح متبادلة ، ولا يمكن لأي دولة أن تتجاهل ثقافات الشعوب وعاداتها وذلك لضرورة الاعتماد المتبادل التي أصبحت نسخة التعاون الدولي التي تفرض على الدول معرفة قيم وثقافات المجتمعات حرصاً على حماية

مصالحها وتعزيزها واستدامتها. (رضا ٢٠٢١ ، ٣٠) . فما هي الآليات المستخدمة والمحققة للدبلوماسية الثقافية.

ثانياً : آليات الدبلوماسية الثقافية :

تستخدم في الدبلوماسية الثقافية العديد من الأدوات التي تشكل آلياتها الفعلية التي تمتد إلى الفنون بأنواعها كالأفلام والموسيقى والرسم والمعارض الفنية والثقافية وبرامج التبادل التعليمي والثقافي كالبعثات الطلابية والوظيفية واستقبال الطلبة الأجانب الوافدين ، ونشر اللغة الأم والأدب عبر برامج مخصصة لذلك وترجمة المحتوى الأدبي بلغات مختلفة ، وفتح فروع للمكتبات الوطنية بالخارج إلى جانب المشاركة في مؤتمرات وبرامج وندوات حول الأديان ، فكل ذلك يمثل ترابط ثقافي له تأثير في عقول وتفكير البشر بكل اختلافاتهم وتنوعهم . (الحويل ٢٠٢٠).

تأتي أشكال المشاركات الثقافية من أجل تنشيط الدبلوماسية الثقافية على شكل معارض فنية أو ندوات ثقافية حول العالم لتحقيق أهداف ثقافية سياسية تخدم الأهداف الدبلوماسية .(رضا ٢٠٢١، ٢٩).

جاءت وسائل الإتصال لتشكل إحدى الأدوات المهمة للدبلوماسية الشعبية لتكوين علاقات بين شعوب الدول من خلال مراعاة احتياجاتها بتخطيط البرامج وإجراء البحوث والدراسات للرأي العام لتحقيق أفضل النتائج شريطة توفر واستعمال وسيلة الإتصال الجيد والتأثير عند عرض الأفكار والآراء المتنوعة في القضايا الحيوية التي تشكل وعي الجمهور لكسب التأييد الشعبي . (فرج الله ٢٠٢٣).

ثالثاً : أهداف الدبلوماسية الثقافية :

يكمن وراء تطبيق وممارسة الدول للدبلوماسية الثقافية السعي لتحقيق العديد من الأهداف وهي:

- تساعد الدبلوماسية الثقافية في القضاء على الانقسامات وبناء الثقة بين الدول وتسمح للمجتمع العالمي بالعمل معاً في مواجهة تحديات مثل تغير المناخ والتطرف والمساواة والتعليم . (الدبلوماسية الثقافية ٢٠٢٣).
- تعزيز التواصل الجماهيري والسعي لتحقيق السلام والاستقرار في العالم لاسيما في عالم العولمة والاعتماد المتبادل وانتشار التكنولوجيا. (الحجلي ٢٠٢١).
- يزيد اهتمام الحكومات بالدبلوماسية الثقافية من قوة العلاقات الدولية ودعم جهود الأمن الوطني ومكافحة التطرف والإرهاب ونشر التسامح وتقديم صورة إيجابية عن الدولة وثقافتها وسياساتها وتعزيز التعاون في الحاضر والمستقبل ومنع وإدارة وتخفيف أي صراع أو أزمات بين الدول في المستقبل . (الحويل ٢٠٢٠) .

- تقديم ثقافة الوطن وإبداعات أبنائه وقيم المجتمع وتراثه الإنساني وصناعاته الثقافية إلى جمهور خارجي بهدف تعزيز قوة الدولة ومكانتها وبناء صورة ثقافية جذابة ومقنعة ونافعة في أذهان المجتمعات الأخرى. (بودر دابن ٢٠٢١) .
- تحقيق المصالح الوطنية للدول من خلال نشر والتعريف بثقافة البلد ونقلها إلى الدول الأخرى لزيادة التعامل الاقتصادي والتجاري مع تلك الدولة ، من أجل الترويج لبضائعها ومنتجاتها ، فالعامل الثقافي يساعد في تفعيل القطاع الاقتصادي وتحقيق أرباح ومردودات اقتصادية للدولة .
- تعزيز مكانة الدولة على المستوى الخارجي من أجل جذب الاهتمام الدولي وتحقيق المكانة الدولية الجيدة وبطريقة مقنعة تركز على الجوانب التفاوضية .
- ربط دول العالم في إطار من القيم والمثل المبادئ والأخلاقيات الدولية المشتركة بمعنى إضفاء الشكل الإنساني على العلاقات الدولية .لاسيما الحاجة الى الاعتماد المتبادل.
- تطوير وتعزيز حقوق الإنسان وتليين العلاقات بين الدول من خلال حماية حقوق الإنسان وإزالة الفوارق بين الشعوب . (رضا ٢٠٢١ ، ٣٠ – ٣٣) .

رابعاً : نماذج الدبلوماسية الثقافية وتطبيقاتها :

ترجع تطبيقات الدبلوماسية الثقافية إلى مراحل تاريخية قديمة ظهرت فيها تلك التطبيقات والممارسات العملية في رحلات ومغامرات المستكشفين والرحالة والتجار والمسافرين والمدرسين كسفراء غير رسميين لدولهم من خلال التعرف والتبادل والتفاعل الحي مع ثقافات الشعوب الأخرى ، (عقيل 2021) .

ولما كانت الثقافة هي إحدى أهم أدوات القوة الناعمة والتواصل الستراتيجي ، فقد بدأ الاهتمام في الجانب الدبلوماسي الثقافي عن طريق توظيف الأدوات الثقافية حيث خصصت الدول المراكز والمكاتب والميزانيات للجانب الثقافي ، وتعد فرنسا رائدة في موضوع الدبلوماسية الثقافية فهي الأكثر إنفاقاً في التعاون الثقافي الخارجي، وتأتي بعدها المانيا و المملكة المتحدة ، فقد عملت فرنسا تعمل على إقامة مدارس فرنسية خارج فرنسا وأنشأت المراكز والمعاهد الثقافية وعملت ولا زالت تعمل على نشر الفرانكوفونية . أما بريطانيا فقد أسست المجلس الثقافي البريطاني عام ١٩٣٤ ويعمل في أكثر من مائة دولة في تعزيز المعرفة بالمملكة المتحدة وباللغة الانكليزية. وفي المانيا تم تأسيس معهد جوتة في عام ١٩٥١ ومقره في ميونيخ ويعمل في حوالي ثمانين دولة . (عقيل 2021) . ومن الجدير بالذكر ان دور الثقافة ومؤسسات الدبلوماسية الثقافية كانت واحدة من أدوات السيطرة الاستعمارية وتعزيز التأثير في المنافسة مع القوى الدولية الأخرى ويتضح ذلك بالنسبة للقوى الدولية الاستعمارية تحديداً ، لأنه على الجانب الآخر وبالنسبة للدول غير الاستعمارية تندرج سويسرا كأنموذج لدولة ليست لديها ماضي استعماري ، ولا تشهد نزاعات أو توترات سياسية ، واستخدمت الدبلوماسية الثقافية حيث أسست ما يقارب عشر مكاتب للمؤسسة الثقافية بروهلفستيا حول العالم لتعزيز التبادل الفني والثقافي بينها وبين دول العالم

لزيادة الوعي بثقافتها لتطوير شراكات طويلة المدى وطرح مشروعات إنتاج مشترك . أما على الصعيد الدولي وفي الإطار الجماعي ظهر في الثلاثينيات من القرن العشرين الدبلوماسية الثقافية الجماعية من خلال إنشاء عصبة الأمم لمركز التعاون الفكري في باريس ، وفي عام ١٩٤٥ انشأت منظمة الأمم المتحدة منظمة اليونسكو الخاصة بالتربية والعلوم والثقافة لتنسيق النشاطات على الصعيد الدولي، (محمود ٢٠١٧) ، بهدف تهيئة الظروف والاجواء الدولية واستحداث قواعد الحوار بين الحضارات والثقافات على أساس احترام القيم المشتركة وإحلال التسامح والسلام بين الشعوب . إلى جانب ذلك شهد عقد الخمسينيات من القرن العشرين ازدهار المجال الثقافي فظهرت مصطلحات ثقافية منها السياسات الثقافية التي عرفها البريطاني (روبرت تاير) عام ١٩٥٩ بأنها (أفعال تتمثل في عملية تواصل ناجحة تنقل لشعوب أخرى عناصر فهم حياة وثقافة شعب مختلف) ، كذلك تم التوصل فيما بعد على السياسات الثقافية بأنها القوانين والتشريعات والبرامج التي تحمي التنوع والإرث الثقافي ، وتقوم المراكز الثقافية بدور الدبلوماسية الثقافية لمرونتها وسهولة وصولها إلى الجماهير وسهولة التعامل معها ، فالهدف من إقامتها يتجاوز الشأن الثقافي إلى الترويج السياسي وتحسين صورة البلد والعمل على استقطاب الكفاءات المدربة والإستثمارات . (الشمري ٢٠٢٤) .

فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية كانت بدايات اهتمامها بالدبلوماسية الثقافية كعامل مرتبط بسياستها الخارجية في ثلاثينيات القرن العشرين عندما أنشات وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٣٨ قسم العلاقات الثقافة وابتدأ في أمريكا اللاتينية ثم امتد إلى الشرق الأوسط والصين ، فتبنت بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية الدبلوماسية الثقافية كمنهج في سياستها الخارجية ، فطرحت عام ١٩٤٦ برنامج فولبرايت لتشجيع التبادل الثقافي بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى ، ثم مشروع سميث موند عام ١٩٤٧ واستحدث له دائرة ثقافية في وزارة الخارجية الأمريكية باسم الدائرة الدولية للتبادل الثقافي . (بودر دابن ٢٠٢١ ، ٦٥٣) . ويعد برنامج فولبرايت الأمريكي أحد أبرز برامج الدبلوماسية الثقافية المميزة عالمياً الذي يتم من خلاله تبادل الشباب والعلوم والمهارات ، فقد حصل من خلاله ٥٩ شخص من ١٤ دولة على جائزة نوبل و ٣٧ شخص أصبحوا فيما بعد رؤساء دول أو مسؤولين حكوميين كبار وبقي كل هؤلاء مرتبطين بذاكرتهم بالثقافة الأمريكية . كما يوجد العديد من المؤسسات والمنظمات والمراكز التي تمارس الدبلوماسية الثقافية لصالح الدول التي تنتمي لها مثل المعهد السويسري والمجلس البريطاني ومنظمة DAAD الألمانية والمؤسسة اليابانية والمعهد الثقافي البولندي وغيرها . (الحويل ٢٠٢٠).

فيما يتعلق بالدبلوماسية الثقافية العراقية فقد تجسدت في تطوير الاتفاقيات الثقافية بين العراق والدول الأخرى في وضع أسس التعاون الثقافي المشترك ، وعقد الاتفاقيات الثقافية مع المنظمات والمؤسسات الدولية المختصة في المجال الثقافي . (جبار ٢٠١٢ ، ١٦٩) .

أما الاهتمام الحديث بمفهوم الدبلوماسية الثقافية فقد بدا واضحاً مع طرح (جوزيف ناي) في كتابه (القوة الناعمة) التي عرفها – أي القوة الناعمة – بالقدرة على الحصول على ما تريد بالجذب بدلاً من الإكراه ، وهي تنشأ من ثقافة البلد ومثله السياسة وسياساته والنظر إلى الثقافة كواحدة من محددات السياسة الخارجية للبلد ، ويشير في ذلك إلى الثقافة الأمريكية التي غزت العالم كقوة ناعمة مؤثرة . (عقيل 2021) .

يرى البعض ان فهم الدبلوماسية الثقافية على مستوى النشاط هي نوع في المزج أو التفاعل التكاملي بين ما يسميه (جوزيف ناي) القوة الناعمة التي تعني القدرة على تحقيق الأهداف عن طريق جاذبية الثقافة بدل الضغط والأرقام ، وبين الدبلوماسية العامة التي ترعاها الحكومة وتهدف إلى إعلام الجماهير أو التأثير في الرأي العام في بلدان أخرى . (محمود ٢٠١٧) .

من ضمن الطروحات التطبيقية الحديثة والقريبة أو المتداخلة مع الدبلوماسية الثقافية جاء مفهوم الدبلوماسية الحضارية الذي بادرت بطرحه منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو– في عام ٢٠٢٢ ، وأهم ما يميز هذا الطرح هو العمل على أن يكون السياسي مستفيداً ومستثمراً بالقدر الكافي لما هو ثقافي وقيمي ، فالتحوّل الذي طرأ على العالم بعد الثورة الرقمية والمعلوماتية أَثَّرَ كغيره في الفعل السياسي الدبلوماسي سلباً وإيجاباً ، فالانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي تؤدي دوراً مهماً في التواصل السياسي ، وتوفر عديدة للمعلومات ومجالات للنقاش حول القضايا السياسية ، وهنا وفي إطار الدبلوماسية الحضارية يجب التأكيد على الأدوار التواصلية المتعددة الأوجه عبر الانتريت ، فالمهم هو استثمار شبكة الانترنت في تعزيز ثقافة الحوار الحضاري والثقافي بين الشعوب والحضارات والدول وإعلاء وتشجيع قيم السلم وحل القضايا المتنازع عليها باللجوء إلى سياسات الحوار بدل التصادم . وبذلك تكمن أهمية الدبلوماسية الحضارية في ظل الثورة المعلوماتية والإتصال والتواصل ، في ان مصير الإنسانية سيحمل قضايا عالمية ومشكلات تخص الجميع مثل التلوث البيئي وقلة المياه والأمراض العابرة للقارات وغيرها من المشكلات التي تستلزم آراء وحلول جماعية وعالمية تشمل على المجتمعات على اختلافها ، ومن أجل إيجاد تلك الحلول الجماعية والعالمية تغدو الدبلوماسية الحضارية مهمة للغاية من خلال أهمية التواصل وبلورة الحلول والمعالجات وتبني سياسات جديدة وعالمية ، فالدبلوماسية الحضارية هي استثمار لمختلف الدبلوماسيات عبر العالم التي تهدف إلى العناية بالإنسان . (أحمد ٢٠٢٢).

خامساً : تأثير الدبلوماسية الثقافية في السياسة الخارجية :

تشير النماذج الثقافية في الدول إلى عمق الوعي بدور الثقافة في تعزيز الدور السياسي حيث أصبح استحداث دوائر العلاقات الثقافية جزءً من هيكل وزارة الخارجية في أي دولة ، ويتضح ذلك في ظهور اولى مؤسسات الدبلوماسية الثقافية ضمن الهيكلية الحكومية في فرنسا منذ منتصف القرن التاسع عشر . وكذلك الحال في المراحل اللاحقة ففي مرحلة الحرب الباردة روجت الدول لاسيما الدول العظمى لنماذج

توضح فيها العامل الثقافي في السياسة من خلال حرب الأفكار التي روجت لها السياسة الأمريكية للوقوف بوجه الدعاية الشيوعية واستمالة نخب و وجماهير واسعة بنشر القيم الليبرالية والترويج لمنتجاتها الفنية ومن خلال المؤسسات الإعلامية الموجهة نحو الديمقراطية والحرية الغربية ومن خلال الرأي العام ، والمؤسسات الثقافية الأمريكية وبرامج المنح الجامعية ومحاولة نشر الافكار الليبرالية الرأسمالية في مواجهة الشيوعية ، وفي المقابل سعى الاتحاد السوفيتي بالشكل نفسه للحد من التأثير الثقافي الأمريكي في العالم. (محمود ٢٠١٧) .

إذن تعد الدبلوماسية الثقافية أحد جوانب سياسة الدولة وقد استلهمت من تجاربها التاريخية العريقة الدروس والخلاصات النظرية لبلورة مفهوم القوة الناعمة المطروح في العلاقات الدولية ، (بودر دابن ٢٠٢١) ، الذي ظهر – أي الدبلوماسية الثقافية أو القوة الناعمة – في تسعينيات القرن العشرين كمصطلح جديد في مجال السياسة الخارجية ، وتعبر عن أو تعكس قدرة الدولة الثقافية على بناء علاقات مع الدول الأخرى من خلال تبادل المعلومات والتطور المعرفي والترويج لنشاطاتها الثقافية ، وذلك لما يمكن أن تتركه من تأثير في الشعوب ، فهي تتجاوز الوظيفة البروتوكولية الرسمية إلى مستوى أكثر إتساعاً من خلال طرح الصناعة الثقافية إلى الشعوب الذي يسهم في تقوية وترصين قوة ومكانة الدولة وتقديم صورة ثقافية مؤثرة ومقنعة عنها . (عقيل 2021). فالدبلوماسية الثقافية تؤدي دوراً تعزيز قرارات السياسة الخارجية للدولة ، إذ ان البعد الثقافي للسياسة الخارجية يشير إلى أحساس الشعوب والنخب الحاكمة بأن ثقافتها وإنجازاتها تعبر عن الجانب الإنساني الحضاري وجزء من عوامل قوة الدولة التي تسهم في تعزيز سياستها الخارجية للوصول إلى المكانة الدولية التي تسعى لها ، كما وأضحت جزءًا من تخطيط السياسة الخارجية للدولة . (محمود ٢٠١٧).

حتى أن مصادر صنع القرار والحفاظ على الأمن الوطني لكل الدول وفي الدول المتقدمة تحتل فيها الثقافة حيزاً واسعاً كأهم أدوات القوة الناعمة والتواصل الستراتيجي لما لنشر الثقافة والتبادل الثقافي من خلال قنوات الإتصال الرسمية وغير الرسمية من تأثير فاعل بشكل مباشر وغير مباشر في سياسة الدولة الخارجية وأمنها الوطني. (الحويل ٢٠٢٠).

فالثقافة هي العامل الأساس لهوية الحكومات والدول حيث تعكس الصورة الإيجابية للدولة وإدارة سمعتها ومواجهة تحدياتها وجلب الإستثمارات والسياح لها ، فعلى سبيل المثال وظفت الولايات المتحدة الأمريكية الدبلوماسية الثقافية في سياستها الخارجية من خلال التركيز في الأنشطة الثقافية والفنية التي تحصل من خلالها على الإيرادات المالية والوظائف وتشكيل وصياغة صورة ذهنية لدى الشعوب بأنها أرض الفرص والعلوم والمعارف وعن طريق تلك الأنشطة تطرح قضاياها وسياساتها. (الحويل ٢٠٢٠).

إذن فقد شكلت الثقافة عنصر من عناصر السياسة الخارجية للدول حيث تتحدد شخصيتها بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات ، وقد تأخذ شكل التعبير الآيديولوجي وتترك آثارها على السلوك العام للدولة في قرارات في السياسة الخارجية ، فتم استخدام الجانب الثقافي في

السياسة الدولية كمادة في الصراع في إطار مفاهيم صِدام الحضارات والعولمة ، وأصبح الاختراق الثقافي المبرمج في أهداف السياسة الخارجية للدول التي تتبناه لدعم أهدافها السياسية والاقتصادية وبذلك تقع مسؤولية تنفيذه وتنسيقه على أرض الواقع على المؤسسات الدبلوماسية الثقافية، (نعمة ٢٠١٠) ، إذ إن البرامج التي تركز على خدمة مصالح الدولة وتنفيد سياستها الخارجية تعمل على تفعيل وتعزيز السياسة الخارجية ، وتعد الصلة والرابط بين المواطن والحكومة اتجاه مواطني وشعوب الدول الأخرى ، (فرج الله ٢٠٢٣) ، فمعظم الدول وجدت في الدبلوماسية الثقافية الوسيلة الأفضل لتعزيز التعاون الدولي وتقليل الخلافات بين الدول ، لا سيما الدول التي لها توترات وصراعات دولية فتركن إلى تعزيز الدبلوماسية الثقافية لتعديل علاقاتها وتحجيم خلافاتها ، وهذا يؤكد ان الدبلوماسية الثقافية أصبحت من سمات الدبلوماسية الحديثة والرسمية التي تخدم مصالح الدول وتعزز مكانتها الدولية. ولا يقف الأمر عند ذلك فالدول الكبرى ومن خلال الدبلوماسية الثقافية تسيطر على الثقافة العالمية السائدة بين المجتمعات من خلال الطروحات الفكرية والثقافية التي أضحت ملازمة للسياسة الخارجية لها – أي للدول الكبرى– . (رضا ٢٠٢١ ، ٢٩– ٣١). وتتجسد الحالتان في السياسة الأمريكية فبعض المفكرين يرى ان الإمكانيات التي ستوفرها الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في المستقبل ستكون سبل تفاهم أعمق وتعزيز السلم عبر العالم وتوفير أرضيات ذهنية لتجاوز الخلافات وحل النزاعات على المدى البعيد ، ويرى مفكرون آخرون ان الدبلوماسية الثقافية الأمريكية آيديولوجية للهيمنة الثقافية ، فالسياسة الأمريكية تسعى ومن خلال عملية التبادل الثقافي إلى انفتاح المجتمع الأمريكي على كل الثقافات ، وترى ان التحدي أمام الولايات المتحدة الأمريكية هو محاولة الاستقطاب الثقافي من خلال ستراتيجية التعليم للقرن الحادي والعشرين باستخدام التكنولوجيا للتدريس وستراتيجية لوزارة الخارجية حول التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية . (بودر دابن ٢٠٢١ ، ٦٥٦ – ٦٥٨) ، كما وقامت بتأسيس مراكز وهيئات من أجل تطوير العلاقات الدولية وتحقيق المصالح الأمريكية دولياً وتعزيز الهيمنة الأمريكية على العالم ، أي لجأت إلى اعتماد اسلوب الدبلوماسية الناعمة . (رضا ٢٠٢١، ص ٣٤) .

أما فيما يتعلق بالصين وفي إطار مساعيها للبروز كقوة دولية فاعلة توظف تعمل على تكييف وتوظيف الهيمنة الناعمة كآلية من آليات سياستها الخارجية وتأكيد نفوذها الاقتصادي المتنامي ، وقد أوضح التقرير السياسي للمؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعي الصيني عام ٢٠٠٢ انه (في عالم اليوم تشتبك الثقافة مع الاقتصاد والسياسة ، مما يبرهن على انها تحتل مكانة أكبر ودور أكثر أهمية من السباق من أجل نفوذ وطني شامل) ، وأشار تقرير عمل الحكومة الصينية عام ٢٠١٥ إلى الجانب الثقافي بالقول (يجب توسيع التبادلات الثقافية بين الصين والدول الأجنبية وتعزيز بناء قدرة النشر الدولي) ، وهذا يوضح التوجه الصيني نحو اعتماد الدبلوماسية الثقافية لتعزيز مكانة الصين ونفوذها الدولي كقوة دولية كبرى عن طريق المراكز الثقافية الصينية في الكثير من الدول وأعمال المنظمات غير الحكومية المساندة للحكومة الصينية ، وبرامج التبادل الثقافي الصيني مع الدول الأخرى كالجمعية الصينية

للدبلوماسية العامة في برنامج تعليمي وتدريبي . (محمود ٢٠١٧) . فالدبلوماسية الثقافية ومن خلال الأساليب التي تعتمدها تحاول ترسيخ نمط أو انموذج ثقافي ونمط قيمي في بيئة اجتماعية مغايرة عن طريق برامج التبادل الثقافي ونشر اللغة وإنشاء المؤسسات التعلمية و المراكز الثقافية . (رضا ٢٠٢١ ، ص ٣١) .

أما تأثير ودور الدبلوماسية الثقافية في سياسة العراق الخارجية فيتضح من خلال وزارة الخارجية وفي إطار البعثات الدبلوماسية حيث تتجسد في الملحقين الثقافيين الذين يضطلعون بالأنشطة الثقافية المتضمنة على نشر اللغة وتنظيم المحاضرات وتبادل أساتذة الجامعات وعقد الاتفاقيات والمعاهدات الثقافية منها على سبيل المثال معاهدة صداقة وشراكة وتعاون بين حكومة جمهورية العراق وحكومة جمهورية ايطاليا في عام ٢٠٠٨ لحماية التراث الثقافي .(جبار ٢٠١٢ ، ١٧١) .

وفي عام ٢٠٢١ جاء اختيار العراق ضيف شرف في معرض الرياض الدولي للكتاب دليل على إسهام الثقافة في تعزيز العلاقات السياسية بين جمهورية العراق والمملكة العربية السعودية ، وإظهار عمق العلاقات التي تؤطرها العديد من المشتركات كاللغة والتاريخ والعلاقات الإنسانية ، وإظهار مكانة العراق الثقافية والسياسية على المستوى العربي والدولي .(السفياني ٢٠٢١)، وفي ٤ كانون الأول ٢٠٢٢ عقد منتدى الحضارات العريقة في دورته السادسة في بغداد وتم فيه التركيز على دور الدبلوماسية الثقافية في تعزيز العلاقات بين الدول والحوار الحضاري والتنسيق بين الدول في تعزيز الشراكات الستراتيجية ومواجهة التحديات العالمية في مختلف المجالات .(وكالة الأنباء القطرية ٢٠٢٢) . وكل ذلك يزيد من علاقات العراق الدولية ويعزز مكانته الثقافية والسياسية من خلال طرح وإثبات التجربة الثقافية العراقية وترسيخ الهوية والثقافة الوطنية .

الخاتمة :

كونها واحدة من أنواع وتفرعات الدبلوماسية أدت الدبلوماسية الثقافية أدواراً كثيرة وعميقة تمكنت من خلالها وإلى مديات بعيدة من إيصال ثقافة وحضارة وقيم الدول التي تمثلها ، والتعريف بتلك الحضارات والثقافات فحَّل التبادل الثقافي والعلمي والحوار الحضاري والفكري بين الدول من خلال مؤسسات وبرامج واتفاقيات عُدت لهذا الغرض ، وأتت بنتائج إيجابية لكل الأطراف من خلال تلاقي وتقارب الشعوب بلغاتها وأفكارها وعلومها لتصب في تحقيق التفاهم والتعاون الدولي .

لقد أثبتت الدبلوماسية الثقافية انها الوسيلة الأكثر سلاسة ومرونة كقوة ناعمة في التعامل بين الشعوب والدول في القدرة على الوصول إلى الأهداف المتوخاة منها والتأثير في الطرف الآخر . وبناءً على ذلك تمكنت العديد من القوى الدولية في إكساب دبلوماسيتها الثقافية النجاح والتطبيق الفعلي من خلال آلياتها وبرامجها وتطبيقاتها التعليمية والثقافية ونشرها في مجتمعات ودول أخرى وانعكس ذلك جلياً في الدبلوماسية الرسمية لتلك الدول في تحقيق أهداف سياستها الخارجية وتعزيز علاقاتها الدولية .

وفيما يتعلق بالدبلوماسية الثقافية العراقية فقد أثبتت بأنها حاضرة في التعريف وفي نشر الثقافة والحضارة والقيم من خلال المشاركات العربية والدولية في الأنشطة الثقافية والعلمية في العراق أو في الدول الأخرى ، فكانت إحدى الوسائل المهمة والمؤثرة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية العراقية وإظهار وإثبات مكانة العراق وتعزيز علاقاته العربية والدولية .

لم تقتصر الدبلوماسية الثقافية في الدول الكبرى والمتقدمة على جانب إظهار ونشر الثقافة والتبادل العلمي والثقافي لتلك الدول ، بل أفصحت عن جانب آخر يحمل من خلال الرؤية والأهداف الثقافية أهدافاً سياسية احتوائية ترمي من خلالها إلى نقل وتعميم نماذجها الثقافية والعلمية عن طريق البرامج والتطبيقات كقوة ناعمة إلى المجتمعات والشعوب الأخرى للتأثير بها والتغلغل فيها والسعي إلى الهيمنة عليها عن طريق الدبلوماسية الثقافية ومن ثم تحقيق أهداف سياستها الخارجية بطريقة دبلوماسية.

وتبقى الدبلوماسية الثقافية القناة التي تعكس الصورة الثقافية والحضارية والعلمية للدول والمجتمعات ، على أن تستخدمها في الإطار الذي يحقق أهدافها ويثبت قدراتها ومكانتها عن طريق ما تقدمه من فائدة وخدمة ومنعة لدول العالم وللإنسانية .

قائمة المصادر باللغة العربية :

Ae.linkedin.com/pulse

١- أحمد ، صابر مولاي ، ٢٠٢٢ ، "السياسة الدولية ومطلب الدبلوماسية الحضارية ، الدولة ومطلب الدبلوماسية الحضارية". https://strategiecs.com/ar/analyses

٢- الحجلي ، تغريد ، ٢٠٢١ ، "الدبلوماسية الثقافية العنصر المفقود في آليات الاتصال الدولي ، الدبلوماسية بين الثقافات ليست جديدة من الإنسانية فقط هي تكتسب بعدا آخر بالاتصال الجماهيري التقني اليوم" .-middle east-online.com

٣- الحويل ، فيصل ، ٢٠٢٠ ،"ما هي الدبلوماسية الثقافية؟" .

٤- الدبلوماسية الثقافية ، ٢٠٢٣ ، "الإمارات العربية المتحدة، وزارة الخارجية" mofa.gov.ae/ar-ae/The-ministry/The-Foreign policg/Cuitural-and-public-Dimocracy.

٥- السفياني ، د. عبد الله بن رفود ، ٢٠٢١ ، "الدبلوماسية الثقافية "العراق أنموذجاً" . okaz.com.sa/culture/culture/2085899

٦- الشمري ، محمد ، ٢٠٢٤ ، "الدبلوماسية الثقافية .. الأثر والمآل" . omandaily.com

٧- بودر دابن، منيرة ، ٢٠٢١ ، "الدبلوماسية الثقافية تنافية الأمريكية كقوة ناعمة وآلية ايديولوجية للهيمنة الثقافية في العالم العربي" ، المجلة الجزائرية للأمن الانساني ، العدد : ٠٢ ، (جويلية) .

٨- جبار ، خليل ابراهيم ، ٢٠١٢ ، "دور الدبلوماسية الثقافية العراقية في الحفاظ على التراث دراسة قانونية" ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد (٢٤) .

٩- رضا ، كشان ، ٢٠٢١، "دور الدبلوماسية في تعزيز الهيمنة الأمريكية"، مجلة الأبحاث القانونية والسياسية، العدد:٠٢ .

١٠- عقيل ، عبد القادر ، ٢٠٢١ ، "الدبلوماسية الثقافية ليست ترفاً .. بل رهان حيوي . /alarabiya.net/quafilah/2021/08/13

١١-فرج الله ، كاترين ، ٢٠٢٣٤ ، "الدبلوماسية الناعمة : ضرورة استراتيجية في توازن العلاقات الدولية" ، مجلة السياسة الدولية ، siyassa.org.eg/News/19685.aspx

١٢- محمود ، سيد ، ٢٠١٧ ، "الدبلوماسية الثقافية الفريضة الغائبة ؟ ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية". http://acpss. ahram.org.eg

١٣- نعمة ، محمد فاضل ، ٢٠١٠ ، "الدبلوماسية الثقافية ودورها في تعزيز قرار السياسة الخارجية" . siironline.org/alabwab/diplomaycy-center/043html

١٤- وكالة الأنباء القطرية ، ٢٠٢٢ ، "منتدى الحضارات العريقة يركز على دور الدبلوماسية الثقافية في رفع الجهود التنسيقية بين الدول". qna.org.qaLar-qaLNews-AreaLNewsL2022- 12L04L0029

قائمة المصادر باللغة الانكليزية

1. - Al-Huwail, Faisal, 2020, “What is cultural diplomacy?” .
2. Ae.linkedin.com/pulse
3. Ahmed, Saber Moulay, 2022, “International Politics and the Demand for Civilized Diplomacy, The State and the Demand for Civilized Diplomacy.” https://strategiecs.com/ar/analyses
4. Al-Hajli, Taghreed, 2021, “Cultural diplomacy is the missing element in international communication mechanisms. Intercultural diplomacy is not just new to humanity. It is gaining another dimension with today’s technical mass communication.” middle-east-online.com
5. Al-Shammari, Muhammad, 2024, “Cultural Diplomacy... Impact and Outcome.” omdaily.com
6. Al-Sufyani, Dr. Abdullah bin Rafoud, 2021, “Cultural Diplomacy: Iraq as a Model.” okaz.com.sa/culture/culture/2085899
7. Aqeel, Abdul Qadir, 2021, “Cultural diplomacy is not a luxury... but a vital bet. alarabiya.net/quafilah/2021/08/13/
8. Bouder Dabin, Mounira, 2021, “Cultural diplomacy is incompatible with America as soft power and an ideological mechanism for cultural hegemony in the Arab world,” Algerian Journal of Human Security, Issue: 02, (July).
9. Cultural Diplomacy, 2023, “United Arab Emirates, Ministry of Foreign Affairs” mofa.gov.ae/ar-ae/The-ministry/The-Foreign policyg/Cuitural-and-public-Democracy.
10. Farajallah, Catherine, 20234, “Soft Diplomacy: A Strategic Necessity in Balancing International Relations,” International Politics Journal, siyassa.org.eg/News/19685.aspx
11. Jabbar, Khalil Ibrahim, 2012, “The role of Iraqi cultural diplomacy in preserving heritage, a legal study,” Journal of the Kufa Studies Center, Issue (24).
12. Mahmoud, Sayed, 2017, “The Absent Obligatory Cultural Diplomacy?”, Al-Ahram Center for Political and Strategic Studies. http://acpss. ahram.org.eg
13. Nehme, Muhammad Fadel, 2010, “Cultural Diplomacy and its Role in Strengthening Foreign Policy Decisions.” sironline.org/alabwab/diplomaycy-center/043html

14. Qatar News Agency, 2022, "The Forum of Ancient Civilizations focuses on the role of cultural diplomacy in raising coordination efforts between countries." qna.org.qaLar-qaLNews-AreaLNewsL2022- 12L04L0029
15. Reda, Kashan, 2021, "The Role of Diplomacy in Strengthening American Hegemony," Journal of Legal and Political Research, Issue: 02.